الأوضاع الاجتماعية والحضارية في القدس الشريف من خلال كتابات الرحالة العرب والأجانب إبان النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي

الدكتوراحمد حسين عبد
الجبوري
كلية التربية / قسم التاريخ

الملخص

يمكن بشكل نظري عام ، اعتبار كتاب الرحلة تدوين دقيق ويومي للمشاهدات والملاحظات ، ولكن هذا النوع الأدبي الذي بدا ظهوره في أوربا في القرن السادس عشرا لميلادي ، وعظم انتشاره ابتداءاً من النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، يمكن اعتباره نوعاً من الميدان الأدبي أي أدب الرحلات ٠

وكثيراً مايلمح المرء بين شهادات هولاء الرحالة تفاوتاً واختلافاً يبلغ أحياناً حد التناقض ، إما التفاوت فمرده إلى تباين وجود الاهتمام عند هذا الرحالة أوذلك ، وإما الاختلاف فيرجع إلى إن مايسجله كل رحالة لايتجاوز إن يكون في اغلب الأحيان انطباعات عابرة زد على ذلك إن التطور الحاصل خلال نصف قرن مهما يكن بطيئاً لابد إن يبرز اختلافات في الأوضاع العامة في البلاد ، في حقبة دون أخرى ، ثم إن مايراه كل رحالة يقاس بطريقة المقارنة ، على نموذج معين في ذهنه عن الحدث الذي شاهده وتصوره ٠

لقد كانت القدس الشريف مهوى أفئدة العديد من الرحالة العرب والأجانب ، فقد م لنا هولاء الرحالة الذين زاروا القدس الشريف تصوراً واضحاً لجميع أركان وأجزاء المدينة وبتفاصيلها الدقيقة من سوار المدينة ، وبواباتها ومساجدها ومقاماتها ، ومدارسها وكنائسها وأسواقها وحماماتها وقلعة القدس ، وغيرها من التفاصيل المعمارية للمدينة ونمط الحياة اليومية لأهل القدس الشريف ، وقدموا وصفاً حياً لجلسات المقاهي والسمر والسهر ٠

كذلك نقلوا لنا صورة عن علاقة الفلاح مع الدولة وخاصة فيما يتعلق بالضرائب أوتخوفه الدائم من غارات البدو واعتداءاتهم ، فضلا عن وصفهم لأنعدام الأمن على الطرق المؤدية إلى القدس واستعانتهم بالقوات العثمانية المحلية لحمايتهم ولإيصالهم إلى الأماكن التي يتجهون إليها ٠

لكن مع هذا فان شهادات هولاء الرحالة لن تؤخذ دائما على وجهها الظاهري ، وستكون معارضتها بشهادات الوثائق العثمانية وسجلات المحاكم الشرعية والمصادر التاريخية المتيسرة امراً ضروريا لمقارنتها وبيان مدى صحة المعلومات التي يقدمها هولاء الرحالة في رحلاتهم ودعمها بهذه المصادر والاستفادة منها ٠

طرحت هذه الدراسة بعض صور ملتقطة من صور ، رسمت في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، بفكر الرحالة العرب والاجانب وريشتهم ، وقد رسمها اصحابها من الواقع ، فالفارس دارفيو جاء الى القدس الشريف وهو لايزال يحمل كل روح الاجيج الصليبي ، على الرغم من كل ماسعى ان يبديه من فكر القرن السابع عشر الاوربي الموضوعي ، ولذا فأنه كان وهو يجوس في ارضها ، يتلمس ذلك الماضي في كل حناياها وبقدسية ، ولقد أثارت رؤيته لسندسها الأخضر ، وأماكنها المقدسة ، وفعاليات اهلها المختلفة ، بل وعيشه بين ظهرانيهم محبا وصديقاً ، أسى عميقاً في نفسه في نفسه ،عبر عنه في نقمه عارمة على الأتراك الحكام في القدس الشريف ٠

بين العياشي وهو المغربي الاصل أنه لم يكن سهل التصديق بكل الحكايات الفولكلورية التي سمعها ، بل أنه في الواقع يرفض أكثرها ٠ ومن جملة ذلك أنه كان يجنح الى عدم التصديق بصحة القبر المزعوم للنبي موسى (عليه السلام) قرب القدش ٠ وظاهر ان العيلشي لم يصدق اكثر هذه الروايات ،فأستخدم مرارا كثيرة كلمة (يقال) أو (زعموا) وماشاكل ٠وفي حديث أبي سالم حول بعض المزارات كقبر النبي داود وعيسى عليه السلام مثلاً يظهر لنا أن الصراع على ملكية هذه المزارات كان قائماً في زمنه بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى ٠

من الطبيعي أن يشيد أوليا جلبي ، وهو العثماني المخلص المقرب من بلاط السلطان العثماني بمذخرات سلاطين ال عثمان في القدس الشريف في غير موضع من رحلته ، وهو يشعرنا بشيئ من الزهو لأنتمائه للدولة العثمانية وسلاطينها ٠ ولايجوز أن يغيب عن أذهاننا بعد هذا كله أن أوليا جلبي الذي أعتمد على مشاهدته الشخصية فيما دونه في كتابه ، كان جغرافياً كبيراً ورحالة من أعظم الرحالينالذين عرفهم الشرق ، وأن كتابه سياحتنامه مصدر في الدرجة الأولى من الأهمية ٠وبه ختمت سلسلة الجغرافيين الرحالين الكبار من أهل الشرق ٠ و نجمل القول فيما سبق بالتأكيد على أهمية المادة الغنية التي كتبها أوليا جلبي عن القدس وعلى مايمكن أستخلاصه منها من المعلومات القيمة والنادرة ٠

غني عن البيان أن أهتمام الشيخ عبد الغني النابلسي كرجل دين وشيخ من شيوخ الصوفية الكبار منصرفاً بالدرجة الأولى الى زيارة الأماكن المقدسة والمشاهد العديدة التي حفلت بها المدينة ووصفها والألتقاء بعلماء المدينة وأعيانها ٠ أ ذقدم لنا مادة تاريخية عن القدس الشريف في الفترة التي زار فيها المدينة في نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، وهو يبدي حذراً واضحاً من تقبل الحكايات التي كانت تروى له ، وتتصل بمشاهد الحرم القدسي الشريف المختلفة ، والتي لم يكن يصدق كثيراً منها ٠ والواقع أن رحلة النابلسي يمكن أن تعتبر أفضل دليل للزيارات وضع للمدينة في الفترة العثمانية بأسرها ٠ وربما كان الدليل لأكثر من غيره تفصيلاً ٠

لاشك أن جميع ما في رحلة موندريل عن القدس الشريف يدور حول زيارة الأماكن المسيحية المقدسة ووضعها يومذاك ، الأأنها زودتنا بمعلومات هامة عن وضع القدس الاداري ، وطريقة تعامل السلطات العثمانية المحلية مع زوار المدينة وتقدم الخدمات والحماية لهم ٠ فهذه هي القدس الشريف كما رأها زوارها شامخة عامرة بتراثها الابدي على مر العصور ٠

الأوضاع الاجتماعية والحضارية في القدس الشريف من خلال كتابات الرحالة العرب والأجانب إبان النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي

لايخفى إن بلاد المشرق العربي (فلسطين والشام والعراق والحجاز) وخاصة فلسطين وخصوصاً مدينة القدس الشريف ، كانت محط أنظار الرحالة العرب والأجانب طيلة القرون المختلفة ، وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي / الحادي عشر الهجري ، أحصينا ثماني رحلات قام خلالها أصحابها بزيارة القدس الشريف وبقوا فيها لفترات متفاوتة دونوا فيها مشاهداتهم عن كل مارأوه في المدينة طيلة فترة بقائهم فيها ٠

إن من طلائع هولاء الرحالة الفرنسي جان دي ثيفنو (Jean de thevento) 1069هـ / ١٦٥٨ م، والذي عبر عن دهشته بما رأه عندما زار كنيسة الميلاد في بيت لحم والتي أصبحت مكاناً رائجاً للحجاج النصارى والزوار المسلمين وعابري السبيل عند مرورهم عليها في طريقهم إلى القدس الشريف ، حيث يقوم الرهبان بتقديم الطعام والشراب والسكن لهم إذ يقول ((شيء غير مريح وغير لائق من إن جميع الأتراك الذين يعبرون بيت لحم ينزلون في الكنيسة العظيمة مع جميع إفراد عوائلهم حيث لايوجد هناك سكن ملائم في بيت لحم ، والذي يعتبر مؤذياً بشكل كبير للمسيحيين الذين يرون كنيستهم قد تحولت إلى خان] للكفار [لكنها فوق كل ذلك وذاك امراً يكدر رهباننا اللاتين والذين يتوجب عليهم بشكل ملزم تقديم جميع الأشياء الضرورية من طعام وسكن)) (١)٠

لايدرك ثيفنو إن هذا الالتزام أقر ضمن الاتفاقيات التي عقدتها الدولة العثمانية مع الدول الأوربية ، وكذلك الاتفاقات التي تمت بين الطوائف النصرانية في القدس الشريف بخصوص الوفاء بالتزاماتها تجاه سكان البلاد ، كما انه جعل سكان البلاد جميعهم أتراك

مع أنهم عرباً والاتراك قلة لايمثلون ألا السلطة الحاكمة ووصفهم بالكفار دليل على امتعاضه وعدم تقبله لهذا الأمر،والذي أصبح حدثاً يومياً و طبيعياً بالنسبة للنصارى وتعايشهم مع المسلمين من أهل البلاد وتقبلهم له وفقا لهذه الأتفاقيات والاتفاقات ٠

وتبعه رحالة فرنسي أخر هو لوران دارفيو (L.darvieux) في سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠ م ، إذ جاء لزيارة الأماكن المقدسة ولتأدية مراسم الحج في عيد الفصح مع مجموعة من التجار الفرنسيين والهولنديين ورجال الدين من الأوربيين (٢)، وهو موسم الحج عند النصارى ، لقد كان دارفيو مغامراً، إذ عند مروره بمدينة الرملة التي تقع قرب القدس الشريف ، حاول دخول مسجدها على الرغم من إن القيم على المكان لاحقه بالشتيمة ومد يده إلى خنجره لضربه ، إذ لايحق لغير المسلمين دخوله (٣)٠

عند الوصول إلى مدينة القدس الشريف فأن الحجاج والزوار النصارى يستأذنون بالدخول إليها ويقدمون عادة هدية ثمينة لرجال السلطة المحلية الحاكمة ويفتشون تفتيشاً دقيقاً حتى لايكون معهم أية أسلحة (٤)، والتي كانوا يسلمونها عند بوابة المدينة ،كما أنهم منعوا من بيع الأسلحة في البلاد الإسلامية (٥)، خوفاً على ما قد يحصل للمدينة في حال سيطر النصارى عليها كما في فترة الحروب الصليبية ، وقد أستقر دارفيو في دير المخلص في القدس للرهبان الفرنسيسكان ، وكان يستخدم المنظار المقرب لمشاهدة المسجد الأقصى من منزل قاضي القدس المطل على ساحة المسجد وأركانه وهو الذي كان لايسمح له بالدخول إليه (٦)٠

عند ما أراد دارفيو ممارسة طقوسه الدينية واداء صلواته في كنيسة القيامة في القدس الشريف ، تعذر عليه انجازها كما يجب لكثرة الحجاج الذين وفدوا في عيد الفصح ، والذين تجاوز عددهم اربعة الاف شخص (٧)،مما يدل على ازدهار المدينة ، وأزدياد نشاط الحركة التجارية فيها ، والذي يغطي احتياجات النصارى في مواسم أعيادهم ٠

ويصف دارفيو تمردات سكان الخليل وقراها على أمير لواء القدس بقوله ((إن المدينة وضواحيها تتبع حاكم القدس الذي يعين فيها صوبا شياً (٨)، وبعض الجند لجباية مايخصه من الضرائب ، ولكن هذا الشعب ثائراً جداً ، ولذا من النادر إن يدفع تلك الرسوم دون قسر، وكم من مرة اضطر الصوباشي لطلب النجدة من سنجق القدس(أمير اللواء) حتى يلزمهم على الدفع ، وكان أحياناً لاينجح لأن هذا الشعب شجاع وباسل ولا يقهر ، مما كان يلزمه على الاتفاق معهم)) (٩)٠

كما لاحظ دارفيو إن منطقة بيت لحم بدت كأنها خالية من السكان لأن الفلاحين هربوا من الأرض واختبئوا عن أعين حكام القدس النهابين ، فالفلاح لم يكن يشعر بأي اطمئنان مطلقاً لا بالنسبة لشخصه ولا لأمواله (١٠)، وهذا يبين لنا إن بعض ولاة القدس في بعض الأحيان استبدوا في حكمهم واستغلوا السلطة الممنوحة لهم لجمع اكبرقدر ممكن من مال الضرائب غير الشرعية والتي أثقلت كاهل سكان ريف القدس الشريف ومدينتها دون القيام بأي عمل جيد للمدينة وأهلها ٠

من أوائل الرحالة العرب المسلمين الذين زاروا القدس الشريف في هذه الفترة ، الرحالة المغربي أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي ، فقد وصلها في سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م ، ومكث في المدينة أسبوعاً واحداً إذ أستقر في زاوية المغاربة بالمدينة ثم انتقل إلى الرباط المنصوري داخل الحرم القدسي الشريف (١١)،وقدم لنا وصفاً للحرم القدسي الشريف بمسجديه الأقصى وقبة الصخرة المشرفة مركزاً على الصخرة ومعالم عمرانها وأهم المقامات والمزارات في الحرم القدسي الشريف (١٢)، ومن هذه المزارات طور زيتا وفي أعلاه مكان يقال إن النبي عيسى (عليه السلام) رفع إلى السماء منه من فوق حجرة هناك كما لم يتمكن العياشي من زيارة مقام النبي موسى (عليه السلام) لأنعدام الأمن على الطريق من القدس الشريف وإليه (١٣)٠

في حديث أبي سالم العياشي عن بعض المقامات كقبر النبي داود (عليه السلام) وعيسى (عليه السلام) مثلاً يظهر لنا إن الصراع على ملكية هذه المقامات كان قائماً عند زيارته للقدس الشريف بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى ، إذ إن اغلب تلك المقامات كانت بأيدي النصارى (١٤) ٠

وعند ما أراد الرحيل متوجهاً صوب مدينة الخليل أرسل معه قاضي القدس الحنفي الشيخ محمد التفاتي التونسي قوة لحمايته وإيصاله بسلام إلى الخليل ،لأن الطريق إليها كانت غير أمنة وقطاع الطرق يسيطرون عليها ،كما أرسل معه رسالة إلى نائبه فيها يوصي به عنده ، فوصلها بسلام وصلى في المسجد الإبراهيمي في الخليل(١٥)٠

قدم إلى القدس الشريف في سنة ١٠٧٨هـ / ١٦٦٧ م، الرحالة الألماني فاينفلدن(Phein FeLden) وبعد إن تجول في المدينة وزار المقامات النصرانية، واستحم في حمام السلطان عند زيارته له ، أعجب بنظافته والخدمة الجيدة فيه ،والتي لفتت انتباهه إلى مدى الاهتمام بالحمامات وغيرها من الخدمات الأخرى التي حرصت السلطات العثمانية المحلية على دوامها وتطويرها ضمن أطار الأهتمام الـــــــعثماني بالقدس الشريف (١٦)٠

يستمر الرحالة بالتوافد لزيارة المدينة المقدسة والتبرك بمقاماتها المنيفة ، إذ جاء إليها في سنة ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م، الرحالة إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني ، وهو من علماء المدينة المنورة وأصله من مصر(١٧)، ولم يمكث فيها سوى يومين ، وقد دخل المدينة من باب الخليل الذي بهرته عمارته وسورها العالي المبني والمحاط بخندق مائي لحمايته ، وعلى يمين المدخل قلعة القدس الشامخة في بنائها وعمرانها (١٨) ٠

كما وصف الحرم القدسي الشريف وصفاً مفصلاً ومسجديه المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة العامرين ، ووصف الصخرة وأبوابها والمحاريب والقباب التي في ساحة الحرم ومصلى النساء في المسجد الأقصى وأبوابه ومحرابه (١٩)، وفي المسجد الأقصى في ركنه على يسار مستقبل القبلة هناك مهد سيدنا عيسى (عليه السلام) ينـــزل إليه بدرجات والى جانبه صورة محراب لطيف في مكان تعبد سيدتنا مريم (٢٠)٠

بعد إن صلى الجمعة في المسجد الأقصى ودعه بركعتي الوداع عازماً زيارة ابي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) فاعدوا له الدليل ومجموعة من الحراس مع خيولهم لمرافقته وحمايته من قطاع الطرق ، إذ كان الطريق بين القدس الشريف والخليل غير امن ، وفي طريقه زار قرية بيت لحم وكنيستها ومحل المهد فيها ، ثم أكمل طريقه إلى الخليل ووصلها بسلام (٢١)٠

إن أدق وصف لمدينة القدس الشريف خلال القرن السابع عشر الميلادي / الحادي عشر الهجري ، ماسجله الرحالة التركي أوليا جلبي (Evliya Tschelebis) في كتاب رحلته المسمى (سياحتنامه) ، والذي زار القدس مرتين كانت الأولى في سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩ م، والثانية سنة ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١ م ، وفي هاتين الزيارتين واصل سفره منها إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ٠ واعتمدت أساساً في حديثي عن وصفه للقدس على ماكتبه في سفرته الثانية عنها (٢٢)، اذ وصفها قائلا((القدس بلد عظيمة ،كائنة على هضبة مرتفعة ، هوائها عليل ، وماؤها عذب ، وسكانها نضار الوجوه ، أنها مهوى أفئدة الكثيرين من الناس ، لامن حيث قدسيتها بل من حيث اقتصادياتها ووفرة حاصلاتها أيضا)) (٢٣)٠

ومضى قائلاً ((في القدس عدد كبير من المباني ، وليست هناك مبان من أي نوع حول قلعة القدس باستثناء حارة داود التي تتكون من أربعين بيتا ، وهناك بوجه الإجمال إلف قصر من القصور العالية التي تشبه القلاع ولواستثنينا البساتين والكروم وحدائق الإزهار فأن جميع المباني تقع داخل السور ، وكذلك جميع الإحياء إسلامية)) (٢٤)٠

كما أضاف قائلاً ،كان تحت أمرة باشا القدس جاويش زادة محمد باشا خمسمائة جندي ، وكان الباشا أمير قافلة الحج الشامي ، ولم يكن أرباب الإقطاعات يكلفون بالخدمة العسكرية في الميدان ، واقتصرت مهمتهم على إن يرافقوا بأعلامهم الحجاج المسلمين إلى مدينة الخليل وبيت لحم والى مقام النبي موسى (عليه السلام) في طريقهم إلى مكة، لأن الطريق غير أمنة بسبب هجمات المتمردين من الإعراب على القوافل المارة فيه ، وبلغ أرباب الاقطاعات ستمائة رجل ، إما عدد إفراد حامية قلعة القدس فقد بلغ مائتي رجل(٢٥)٠

يشير أولياجلبي الى الموظفين الذين يعملون تحت أدارة قاضي القدس الحنفي الذي يمثل رأس الهرم الأداري المدني في لواء القدس الشريف أذ يتبعه عشرون ضابطاً (أغا) يعينون بأوامر من السلطان العثماني ، وأول هولأء المحضر باشي الذي يعينه السلطان في أحتفال رسمي وهو الحارس الليلي لأبوب المدينة ، وينفذ مهام وظيفته بمساعدة القوات العسكرية العثمانية في القدس الشريف ، والأغا الثاني هو ناظر الشرطة الذي يعن خصيصاً للقدس وهو منصب عال يرغب فيه الكثيرون والأغا الثالث هو المعمار باشي (رئيس المعمارين) ، والرابع هو المهندس باشي والخامس هو المعتمد باشي (كبير الوكلاء) ، والسادس الصراف باشي (أمين الصندوق الرئيسي) الذي يقوم شخصياً بدفع الهبات السنوية (الصرة) التي ترد من السلطان الى العلماء والفقراء ، والأغا السابع هو الخزندارباشي (امين بيت المال) والثامن

هو الصوباشي (ضابط الشرطة) والتاسع البازارباشي (المحتسب) والعاشر الكتخدا (نائب امير اللواء) و الحادي عشر رئيس سوق القماش ،وبأختصار فأن رؤساء جميع فئات التجار يحضرون يومياً الى المحكمة الشرعية لأداء واجباتهم ، وهناك سبعة أوقاف كبيرة في القدس يأتي متولوها الى المحكمة ويحضر كل منهم ماتم جمعه من واردات الاوقاف الى القاضي لمعاينته ،أنها أدارة شرعية كبيرة ومحكمة قضاء كبيرة (٢٦)٠

كذلك أكثر من وصف كل من قلعة القدس وسورها وأبوابها اذ يعيش في القلعة قائدها (الدزدار) ووكيل أمير اللواء (الكيخيا) وإمام وواعظ ومؤذن والجنود ، وهناك مامجموعه أحدى وسبعون غرفة مبنية بداخلها ، وعن سور المدينة وبواباتها وأبراج السور قدم عنها إحصاءات ومعلومات دقيقة (٢٧)، ويأتي بعد ذلك وصف مفصل للمسجد الأقصى وعمارته وزينته من الداخل وأبوابه وشبابيكه ومحرابه وسجاده ، ومحراب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، والى يمين المنبر يقع مهد عيسى (عليه السلام) وهو مصلى وله مدخل ، ومقام الخضر (عليه السلام) ، ثم قبة الصخرة وصحنها والصخرة والأعمدة والابواب والمقامات والمزارات الموجودة في الحرم القدسي الشريف ، الجديرة بالزيارة والقباب والمحاريب في ساحة الحرم القدسي الشريف والتي قام بتعدادها مع وصف دقيق لأسلوب عمارتها وبالتفصيل(٢٨)٠

في معرض حديث جلبي عن القدس يتطرق الى النصارى وأعيادهم في القدس في كنيسة القيامة اذ يقول ((كنيسة القيامة الرومية بناها الاسكندر المقدوني وقد نقش على بابها تاريخ انشائها باليونانية ، وفي يوم عيد الفصح يجتمع الألاف من الكفرة – يقصد النصارى – وفي هذه الأيام يحضر أيضاً الباشا والقضاة وأعيان المدينة مسلحين لكي لايستولي على كنيسة القيامة الكفرة ، ثم يدعو القيم على كنيسة القيامة للسلطان ويدعو أكثر للكفرة ، ثم يفتح الباشا والقاضي باب الكنيسة ، ويحتشد بداخلها الاف الناس من جميع الشعوب ومئات القساوسة ، وباب الكنيسة مغلق طيلة ايام السنة ، وحين يفتح بابها يؤخذ من كل من يدخلها اربعون، اقجة (٢٩)، تخصص منها حصة للباشا والقاضي وعند مغيب الشمس يغلق الباب ،أن باب الكنيسة وشبابيكها لانظير لها في العالم)) (٣٠)٠ يبدوا هنا جلبي متحاملاً على نصارى القدس ومبينا في نفس الوقت تدابير السلطة العثمانية المحلية في حماية القدس مخافة السيطرة عليها من قبل جموع النصارى الوافدين الى القدس للزيارة وتكرار ماحدث في الحملات الصليبية من قتل لأهلها والسيطرة عليها ٠

يظهر من وصف جلبي للمدينة وأحوالها انه كان مرتاحاً كل الارتياح لكل ماشاهده فيها وسمعه عنها ألا انه لم يكن مرتاحاً لمسألة الأمن فيها ، فقد قال إن الأمن كان مفقوداً تماماً ، حتى انه عندما ابدى رغبته في زيارة مدينة الخليل إمام أمير اللواء جاويش زاده محمد باشا ارسل معه ستة وعشرونخيالاً مسلحين كانوا في حراسته منذ إن غادر مدينة القدس الشريف إلى إن وصل إلى الخليل وعاد منها ، وذلك بسبب وجود قطاع الطرق على الطريق (٣١)٠

إن رحلة أوليا جلبي تنطوي على فوائد تاريخية مهمة لاشك فيها من مثل وصفه للقلعة والسور والحرم القدسي الشريف ، وحديثه عن المقامات والمزارات والمدارس التي تحيط بالحرم ، وكذلك المعلومات التي يقدمها عن حكومة القدس الشريف المحلية وجهازها الاداري وعن احوال الأمن المضطربة التي كان الحجاج يضطرون معها إلى اللجوء إلى الحماية العسكرية من غارات البدو ، والإشادة بمنجزات سلاطين إل عثمان في القدس الشريف في أكثر من موضع في رحلته ٠

من مشاهير الصوفية الذين زاروا القدس الشريف الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي ، الذي يعتبر واحداً من أعظم الشخصيات الصوفية التي أحرزت شهرة كبيرة في العالم الإسلامي وخاصة بلاد الشام وهو مقدسي الأصل من بنو جماعة ، نابلسي النسبة ودمشقي الولادة والوفاة ، رحل إلى القدس الشريف سنة ١١٠١هـ / ١٦٩٠ م وألف في هذه الرحلة (الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية) ، وفي سنة ١١٠٥هـ / ١٦٩٤م ، زار مدن بلاد الشام بما فيها القدس الشريف ومصر والحجاز، وألف في هذه الرحلة (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز) ،وبقي في المدينة ثمانية عشر يوماً (٣٢)

في رحلته الحضرة الإنسية ١١٠١هـ / ١٦٩٠ م، أشار إلى انه عند وصوله قرية يبرود من قرى القدس الشريف كان الوقت عند الغروب فبات فيها ليلته ، إذ إن أبواب سور المدينة تغلق في الليل ولا تفتح لأحد حتى الصباح (٣٣) ، وفي الصباح وصل مزار

الشيخ جراح (المدرسة الجراحية) ، فخرج لأستقباله مشايخ وأعيان القدس من إل العلمي وال جماعة الذين رافقوه ودخلوا المدينة من باب العمود ، فإذا هو باب كبير واسع وعال ، إما سور بيت المقدس فهو سور جديد متين مشيد قوي الأركان عظيم البنيان يحيط بالمدينة كلها ، وله عشرة أبواب يعددها النابلسي بأسمائها المعروفة في وقته وهي باب العمود وهو من جهة الشمال ومن هذه الجهة ايضاً باب الداعية المتوصل منه الى حارة بني زيد من حارات القدس ، وباب يسمى باب دير السرب ، وباب الساهرة ، ومن جهة القبلة باب حارة المغاربة وباب صهيون المعروف الأن بباب داود ، ومن جهة الغرب باب صغير بجانب دير الأرمن ، وباب المحراب المعروف الان بباب الخليل ، وباب يعرف بباب الرحبة ، ومن جهة الشرق باب الاسباط (٣٤) ٠

قدم لنا النابلسي وصفاً دقيقاً ومفصلاً عن الحرم القدسي الشريف ومسجديه ومزاراته وقبابه وأبوابه ، ودخوله إليه والصلاة فيه ونزوله في المدرسة الإشرفية من مدارس الحرم ، ولم يترك بناية فيه الاوزارها وأطلع عليها وعرف إسرارها بقياساتها وطولها وعرضها وخاصة مسجد قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك (٣٥)، ويظهر لنا من ثنايا زيارته للحرم القدسي معلومات تاريخية ، مفيدة منها أمر السلطان العثماني سليمان الثاني (١٠٩٩-١١٠٢هـ / ١٦٨٧-١٦٩٠م) ، بمنع المشي بالنعال في الحرم القدسي كله ، ووضع تخت من الخشب في صحن الصخرة بين بابها ودرجها الشرقي ليمشي عليه الناس بالنعال ، ومنها تخصيص مكان خاص للنساء في داخل المسجد الأقصى غير جامع النساء ، تؤدين الصلاة فيه يوم العيدين ويوم الجمعة ، ومنها ان مكان صلاة الحنابلة كان في سوق المعرفة قبل إن ينتقلوا إلى الطابق الأرضي للمدرسة السلطانية (٣٦)٠

كذلك حضر لزيارته والسلام عليه في مقر إقامته مفتي القدس الشيخ عبد الرحيم بن ابي اللطف ونقيب إشرافها مصطفى الحسيني وخطيب المسجد الأقصى الشيخ احمد بن صلاح الدين العلمي وجمع غفير من علمائها وجميعهم من عوائل القدس المعروفة من إل الحسيني وال العلمي ، وابن جماعة وال أبي اللطف ، فضلا عن مجيء متسلم القدس (نائب امير لواء القدس) عقل بك للسلام عليه وتأدية الواجب إليه(٣٧) ، مما يدل على المكانة العلمية المرموقة التي كان عليها النابلسي والشهرة الواسعة له ٠

ثم بعدها قام بجولة في المدينة وخارجها لزيارة مقاماتها ومزاراتها ومقابرها ، فزار مقام النبي داود (عليه السلام) ، وتكية خاصكي سلطان (٣٨) المشهورة ، فوجدها عامرة ومملؤة بأنواع الخيرات وأجناس المبرآت، فزارمقبرة مأمن الله (ماملا) في القدس وعين سلوان التي تزود القدس بالماء ، وعند زيارته لمقام النبي موسى (عليه السلام) رافقته مجموعة من قوات السباهية (٣٩)، لحمايته من قطاع الطرق إذ إن الطريق لم تكن أمنة في ذلك الوقت إلى المقام(٤٠) ٠

ولم تكن المدينة كلها مجالس ذكر وتلاوة ولاحلقات للمتصوفة ، فقدكان فيها مجالس للطرب والتي كان الشيخ يقبل عليها بلا حرج إذ حضر مجلساً في التكية المولوية حيث قال ((جلسنا في صدر ذلك الديوان وعملوا لنا السماع الشريف ببدائع الإلحان حتى حصل لنا غاية الطرب ، ثم مررنا بالسوق فوجدنا فيه القهوة ملآن وهم يعلنون بأنواع المغاني والإلحان فكمل لنا السماع)) (٤١)٠

كما وصف لنا حمام الشفاء في القدس الشريف ، الذي كانت تطلق في داخله مجامر البخور ويرش فيها ماء الورد على الوجوه و النحور ، وتشرب فيها القهوة وتقدم فيها الحلويات والمآكل الشهية وتتردد فيها الإلحان الطيبة ، ويشير ماكتبه النابلسي عن الولائم الكثيرة التي حضرها إلى حياة منعمة في بيوت أثرياء المدينة ووجهائها ،كالقصر الذي كان يسكن فيه مفتي القدس الشريف عبد الرحيم بن أبي اللطف ، وبيت التاجر صالح العسلي ، الذي رأى في بيته النرجيلة (الأنبوب الفوار بالماء) (٤٢)٠ مما يدل على الحياة الاقتصادية الجيدة عند اهالي القدس الشريف وارتفاع مستواهم المعاشي وكرمهم وسخائهم ٠

ثم يصف لنا طريق الرحلة إلى الخليل بمرافقة قوة من مقاتلي السباهية لحمايته ، وزياراته للمقامات التي على طريقه ، وزيارة بيت لحم ثم الصلاة في مسجدها وزيارة مقاماتها ، ومغارة مهد عيسى (عليه السلام) ثم العودة إلى القدس والسفر منها الى دمشق(٤٣) ٠

إما الرحلة الثانية التي تحدث النابلسي فيها عن مدينة القدس الشريف ، فنجد وصفها في كتاب رحلته (الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز) (٤٤)، وصل النابلسي إلى القدس الشريف ، سنة ١١٠٥هـ / ١٦٩٤ م ، في اليوم الستون من أيام

رحلته ، وحضر لأستقباله أولاد الشيخ العلمي وجماعتهم ، ثم زار المدرسة الجراحية ، واستقر في المدرسة القادرية ، إذ زاره فيها علماء القدس وأعيانها ومنهم السيد مصطفى نقيب الإشراف وعطا لله أفندي قاضي القدس الشريف ومنهم الشيخ محمد المالكي المؤقت بالحرم الشريف وإمام المالكية فيه ، وعلي جورجي النابلسي متسلم القدس ، ومشايخ الحرم القدسي الشريف ، ونجم الدين الرملي مفتي القدس الحنفي وغيرهم ، وكعادته خص الحرم القدسي ومسجديه ومقاماته ، بعظيم الزيارة وطول الإقامة(٤٥) ٠

كذلك حضر الأحتفال بالمولد النبوي الشريف في المسجد الأقصى ، فقرر زيارة مدينة الخليل وتوجه إليها فزار بيت لحم وكنيسة المهد ، وصلى في مسجد الخليل (عليه السلام) ، وزار مقامات الأنبياء هناك ، ثم عاد إلى القدس الشريف ماراً ببرك سليمان ، كما زار مقام النبي موسى (عليه السلام) وتوجه إلى قرية أريحا فوجدها خراباً لكثرة الظلم والجور فيها ، وإذ هو في طريقه إلى القدس وصله مكتوب من أخيه يوسف النابلسي مفتي دمشق ، بتوجه ولده إسماعيل إليه ، فقرر السفر إلى غزة مودعاً ارض القدس الشريف ، وكانت مدة بقائه فيها سبعة عشريوماً (٤٦) ٠

غني عن البيان إن أهتمام الشيخ النابلسي كعالم دين وشيخ من شيوخ الصوفية الكبار كان منصرفاً بالدرجة الأولى إلى زيارة الأماكن المقدسة والمشاهد العديدة التي حفلت بها المدينة ووصف هذه الأماكن ، وكذلك الالتقاء بعلماء المدينة وأعيانها الذين وفدوا للسلام عليه في محل إقامته أو الذين اجتمع بهم في الحرم القدسي الشريف ،كما لم يفته الإشارة إلى مجالس الطرب ومقاهي القهوة والغناء ، وحمامات المدينة النظيفة وغيرها من الأمور التي أوردها في رحلتيه إلى القدس ٠

زار القدس الشريف في أوائل سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٦م، الرحالة الانكليزي هنري موندريل **Henry Maundrell**)) ووصفها في كتاب اسماه (رحلة من حلب إلى القدس) **47) (Jerusalem Aleppo to ajourney from**) ، فقد ذكر إن القدس كانت تابعة إدارياً إلى ولاية طرابلس الشام ، وانه هو ورفاقه السياح الآخرين انتظروا عند باب المدينة الغربي ، المعروف بباب بيت لحم (٤٨) ، مقدار نصف ساعة من الزمن إلى إن جاءهم الإذن من باشا القدس بدخول المدينة إذ كان محرماً على الفرنج ليس دخول المدينة فحسب بل والتقرب من أسوارها قبل صدور الإذن من الحاكم ، وكان على الزائرين إن يترجلوا عن خيولهم عند وصولهم إلى أبوابالمدينة ، وان يسلموا أسلحتهم إلى الجند المرابطين على الأبواب ، إلا إذا اجازلهم الحاكم إن يدخلوا على غير هذا المنوال (٤٩) ٠

ولما كانت قافلة المسترموندريل ، ترافق القنصل الفرنسي للقدس الشريف والمقيم في صيدا الذي جاء لحضورأعياد الفصح الخاصة بالنصارى ، فلم يطلب إليها إن تفعل ذلك عند الدخول ، فدخلوا من باب الخليل (بيت لحم) إلى المدينة ، ونزلوا في بيت القنصل في القدس طوال مدة إقامتهم فيها (٥٠) ، وعند ذهابهم إلى كنيسةالقيامة رأوا على أبوابها عدداً من الجند المعروفين بالانكشارية (٥١) ، ومعهم عدد من الضباط ، وضعوا هناك لمراقبة الزوار وليجبوا منهم رسوم الدخول إلى الكنيسة ، فدخلوها لإحياء الأعياد ، وبعد إن أتموا احتفالهم خرجوا في اليوم التالي برفقة المتسلم وأعوانه إلى منطقة نهر الأردن لزيارة الأماكن المسيحية ، إذ كانت الطريق غير أمنة والحجاج النصارى عرضة للغزو من قبل البدو ، الذين أطلقوا عليهم النارمن ضفة النهر الأخرى عند وصولهم إليه (٥٢) ٠

ثم توجهوا بعد ذلك إلى بيت لحم وقاموا بزيارة الأماكن المقدسة فيها وحولها ، وخاصة الأماكن التي تردد عليها سيدنا عيسى (عليه السلام) وأسهب في وصفها وقدسيتها مع وصف سائرالأماكن المقدسة في القدس وحولها (٥٣) ،كما أشار موندريل إلى إن الحجاج النصارى الذين كانوا يزورون الناصرة والجليل ثم يتوجهون إلى القدس عن طريق نابلس ، توقفوا عن فعل ذلك نتيجة عدم توفر الأمان ، على الرغم من محاولات صالح باشا متسلم القدس سنة ١٦٩٦م ، إعادة الأمور إلى سابق عهدها ، فان نجاحه كان مؤقتاً ومحدوداً (٥٤) ،وذلك لضيق الوقت لأنه بقي في منصبه لمدة سنة واحدة ثم عزل وعين متسلم أخر غيره مما قلل من أمكانية تمكن صالح باشا من توفير الأمن ٠

وإنهم بعد رجوعهم إلى القدس وقفوا فوق سطح الدار التي كانت على عهد الرومان قصراً للولاة ، ينظرون عن بعد في جنبات الحرم القدسي ، إذ كان محرماً على غير المسلمين دخوله، ومن كانت نفسه تحدثه بالدخول اليه كان يعرض نفسه لخطر الموت ، وانتهت زيارته للقدس فغادرها مع قافلة القنصل الفرنسي إلى صيدا (٥٥)٠

لاشك إن جميع ما في رحلة موندريل هذه عن القدس يدور حول زيارة الأماكن المسيحية المقدسة ووضعها يوم ذاك ، إلا أنها أعطتنا معلومات هامة عن إن القدس كانت تتبع إدارياً ولاية طرابلس الشام ، وليس ولاية دمشق الشام ، وهو تغير إداري تتخذه الدولة عادة لتحقيق الأمن في المدن التابعة لها كما قدم وصفاً دقيقاً عن طريقة التعامل مع زوار المدينة عند بواباتها وتفتيشهم ، ومعرفة غرض الزيارة ومنحهم باج الدخول إليها بعد الحصول على إذن امير اللواء ، فضلاً عن إشارته إلى وجود حراس على باب كنيسة القيامة لمراقبة الزوار ، وخروج متسلم المدينة مع الزوار إلى خارج المدينة لحمايتهم ، فقد كانت الطرق الخارجية تتعرض لهجمات البدو باستمرار ٠

تعكس لنا هذه الرحلات صورة القدس الشريف عندما زاروها فالمدينة داخل السور كانت عامرة في بنائها وبنيانها والحياة فيها مزدهرة والحالة الأمنية مستقرة والخدمات متوفرة ، وإدارة المدينة جيدة ، إما خارج السور وعلى الطريق إلى مدينة الخليل وبيت لحم ومقام النبي موسى (عليه السلام) وغيرها من المناطق حول القدس فقد كانت حالة الأمن سيئة على الطرق ، ففي سنة ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م ، لم يتمكن الرحالة المغربي أبي سالم العياشي من القيام بالزيارة التي يتطلع إليها لمقام النبي موسى (عليه السلام) ، ولم يكن في وسع قاضي القدس محمد التفاتي إن يساعده على اتمام زيارته(٥٦)٠

وفي سنة ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠م ، قال الرحالة المصري الخياري المدني إن قافلته المتجهة من الرملة إلى الخليل كانت بحاجة إلى حراسة عسكرية من قطاع الطرق (٥٧)، وعندما أراد أوليا جلبي الرحالة التركي أن يزور الخليل سنة ١٠٨٣هـ / ١٦٧٢م ، رافقته قوة عسكرية من ستة وعشرين فارساً لحمايته من قطاع الطرق (٥٨)، وبذلك يكن الأمن خارج المدينة وعلى الطرق هو الخطر الوحيد الذي يهدد مدينة القدس الشريف ٠

الخاتمة

طرحت هذه الدراسة بعض صور ملتقطة من صور ، رسمت في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي ، بفكر الرحالة العرب والأجانب وريشتهم ، وقد رسمها أصحابها من الواقع ، فالفارس دارفيو جاء إلى القدس الشريف وهو لايزال يحمل كل روح الأجيج الصليبي ، على الرغم من كل ماسعى إن يبديه من فكر القرن السابع عشر الأوربي الموضوعي ، ولذا فأنه كان وهو يجوس في أرضها ، يتلمس ذلك الماضي في كل حناياها وبقدسية ، ولقد أثارت رؤيته لسندسها الأخضر ، وأماكنها المقدسة ، وفعاليات أهلها المختلفة ، بل وعيشه بين ظهرانيهم محباً وصديقاً ، أسى عميقاً في نفسه ،عبر عنه في نقمه عارمة على الأتراك الحكام في القدس الشريف ٠

بين العياشي وهو المغربي الأصل أنه لم يكن سهل التصديق بكل الحكايات الفولكلورية التي سمعها ، بل أنه في الواقع يرفض أكثرها ٠ ومن جملة ذلك أنه كان يجنح إلى عدم التصديق بصحة القبر المزعوم للنبي موسى (عليه السلام) قرب القدس ٠ وظاهر أن العياشي لم يصدق أكثر هذه الروايات ،فأستخدم مرارا كثيرة كلمة (يقال) أو (زعموا) وماشاكل ٠وفي حديثه حول بعض المزارات كقبر النبي داود وعيسى (عليهما السلام) مثلاً يظهر لنا أن الصراع على ملكية هذه المزارات كان قائماً في زمنه بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى ٠

من الطبيعي أن يشيد أوليا جلبي ، وهو العثماني المخلص المقرب من بلاط السلطان العثماني بمنجزات سلاطين إل عثمان في القدس الشريف في غير موضع من رحلته ، وهو يشعرنا بشيء من الزهو لأنتمائه للدولة العثمانية وسلاطينها ٠ ولا يجوز أن يغيب عن أذهاننا بعد هذا كله أن أوليا جلبي الذي أعتمد على مشاهدته الشخصية فيما دونه في كتابه ،كان جغرافياً كبيراً ورحالة من أعظم الرحالين الذين عرفهم الشرق ، وأن كتابه سياحتنامه مصدر في الدرجة الأولى من الأهمية ٠وبه ختمت سلسلة الجغرافيين الرحالين الكبار من أهل الشرق ٠ و

نجمل القول فيما سبق بالتأكيد على أهمية المادة الغنية التي كتبها أوليا جلبي عن القدس وعلى مايمكن استخلاصه منها من المعلومات القيمة والنادرة ٠

غني عن البيان أن اهتمام الشيخ عبد الغني النابلسي كرجل دين وشيخ من شيوخ الصوفية الكبار كان منصرفا بالدرجة الأولى إلى زيارة الأماكن المقدسة والمشاهد العديدة التي حفلت بها المدينة ووصفها والالتقاء بعلماء المدينة وأعيانها ٠ أذ قدم لنا مادة تاريخية قيمة عن القدس الشريف في الفترة التي زار فيها المدينة في نهاية القرن السابع عشر الميلادي ، وهو يبدي حذراً واضحاً من تقبل الحكايات التي كانت تروى له ، وتتصل بمشاهد الحرم القدسي الشريف المختلفة ، والتي لم يكن يصدق كثيراً منها ٠ والواقع أن رحلة النابلسي يمكن أن تعتبر أفضل دليل للزيارات وضع للمدينة في الفترة العثمانية بأسرها٠ وربما كان الدليل الأكثر من غيره تفصيلاً ٠

لاشك أن جميع ما في رحلة موندريل عن القدس الشريف يدور حول زيارة الأماكن المسيحية المقدسة ووضعها يوم ذاك ، الأ أنها زودتنا بمعلومات هامة عن وضع القدس الإداري ، وطريقة تعامل السلطات العثمانية المحلية مع زوار المدينة وتقيدم الخدمات والحماية لهم ٠ فهذه هي القدس الشريف كما رآها زوارها شامخة عامرة بتراثها الأبدي على مر العصور

المصادر والهوامش

(١) Oded Peri, Chrestanity under IsLam in Jerusalem the question of the Holy sites in early ottman times ,(Leiden , 2001) , pp.82-83 .

(٢) Memoires Du Chevalier darvieux , vol .2,(paris , 1735) ,pp.88-323 .

(٣) Ibid,vol.2,pp.27,173-174؛

ليلى الصباغ ، فلسطين بشرياً ٠اقتصادياً٠ اجتماعياً ، ط١ ،(بيروت ، ١٩٩٦) ، ص ص ٥١ –٥٢ ٠

(٤) ليلى الصباغ، الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشرالميلادي (العاشر والحادي عشر الهجريين) ، ط١ ، ج٢ ، (بيروت ، ١٩٨٩) ، ص ص ٧١٨– ٧٩٧ ؛

Darvieux Op . Cit , vol .2,p.105.

(٥) J.C.Hurewitz , Diplomacy in the Near and Middle East adocumentary Record 1535 -1914 ,vol .1, (Newyork , 1956) ,p.25 .

(٦) Darvieux , Op . Cit , vol .2,pp.105-113,208 ؛

ليلى الصباغ ،" فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو البنية الطبيعية والبشرية" ، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام ، فلسطين ، ط١، م٢ ، (عمان ، ١٩٨٣)، ص ٢٩٩

(٧) Darvieux , Op . Cit , vol .2,pp.77-130 ؛

الصباغ ، الجاليات الأوربية ٠٠٠، ج٢ ، ص ٧٩٩ ٠

(٨) الصوباشي : كلمة مركبة من مقطعين صو وتعني الجيش ، وباشي وتعني القاهر ، وقد أستخدم للدلالة على الضباط الاقطاعيين الذين يوجدون في المدن الى جانب القضاة ، أذ يقومون بقيادة القوات تحت أمرة القائد الأعلى للجيش في مناطقهم ، أما في زمن السلم فيقومون بحفظ الأمن والنظام ، والصوباشية ٠بمثابة ضباط الشرطة في الوقت الحاضر ٠ للتفاصيل ٠ ينظر : شمس الدين سامي ، القاموس التركي ، ج٢ ، (أستانبول ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م) ، ص ص ٨٣٦– ٨٣٧ ؛ محمود شوكت ، عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكرية ، (أستانبول ، ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧ م) ، ص ٦٣ ؛ J.W..Red house ,A Turkish and English lexicon ,new Edition , (Beirut,1987) ,pp. 1189 -1190 .

(٩) Darvieux , Op . Cit , vol .2,pp.241-242 .

للتأكيد على كلام دارفيو ينظر : سجلات محكمة القدس الشرعية المحفوظة في مكتبة الجامعة الأردنية ، سجل (١٦٢) ، حجة رقم (٢) ، بتاريخ ١٠٧٣هـ / ١٦٦٢ م ، ص ٢٠٩ ٠ سنشير لها لاحقا بـ)س،ح) ؛

(. Uriel Heyd, Ottoman Documents on Palestine 1552 - 1615 , London ,1960), p.71

(١٠) Darvieux , Op . Cit , vol .2,pp.227-228 ؛

كامل جميل العسلي ، القدس في التاريخ ، ط١ ، (عمان ، ١٩٩٢) ، ص ٢٥٠ ٠

(١١) أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكرالعياشي ، ماء الموائد الرحلة العياشية ، وضع فهارسها : محمد حجي ، ط٢ ، ج٢ ، (الرباط ، ١٩٧١) ، ص ص ٣١٥ – ٣١٦ ؛كامل جميل العسلي ، بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين ، (عمان ١٩٩٢) ، ص ٢١٠ ٠

(١٢) للتفاصيل ينظر : عبد القادر زمامة ، " مع أبي سالم العياشي في رحلته إلى المشرق " ، مجلة المناهل ، ع (٢٧)، السنة (١٠) ، (المغرب ، ١٩٨٣) ، ص ١٦٧ ؛ محمد ابراهيم الكتابي ،" القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالين المغاربة " ، مجلة دعوة الحق ، ع (٥) ، السنة (٢٢) ، (المغرب ، ١٩٨١) ،ص ص ٦٠–٦١ ٠

(١٣) عبد الهادي التازي ، القدس والخليل في الرحلات المغربية ٠ رحلة ابن عثمان نموذجاً ، (الرباط ، ١٩٩٧) ، ص ص ٢٢ –٢٣ ؛ العياشي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٣١٨ – ٣١٩ ٠

(١٤) العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ٢١٢ ؛ الكتاني ، المصدر السابق ، ص ص ٦١ –٦٢ ٠

(١٥) العياشي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٣٢٤ – ٣٢٥ ؛ زمامة ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ ؛ التازي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ ٠

(١٦) كامل جميل العسلي ، من أثارنا في بيت المقدس ، (عمان ، ١٩٨٢) ، ص ٢٠٦ ٠

(١٧) محمد أمين بن فضل الله المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ،ط٢، ج١، (بيروت ، ١٩٦٦) ، ص ص ٢٣ – ٢٨ ؛ محمد أمين بن فضل الله المحبي ، نفحة الريحانة ورشة طلاء الحانة ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ط١ ،ج٤ ، (دمشق ، ١٩٦٧) ، ص ٣٦٦ ٠

(١٨) إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري المدني ، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء ، تحقيق : رجاء محمود السامرائي ، ط١ ، ج٢ ، (بغداد ، ١٩٧٩) ، ص ١٧٥ ؛ نوفان رجا الحمود ، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادين ، ط١، (بيروت ، ١٩٨١) ، ص ٤٦ ٠

(١٩) العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ص ٢١٦ –٢١٨ ؛ المدني ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ١٨٨ –١٩٣ ٠

(٢٠) المدني ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٩٢ ؛

SyLvia Auld and Robert; Hillenbrand , Ottoman Jerusalem the Living City ,1517-1917 ,vol.1.(London ,2000) ,pp.526-527 .

(٢١) المدني ، المصدر السابق ،ج٢، ص ص ١٩٥ –٢٠٠ ؛ العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ٢٢١ ٠

(٢٢) لمزيد من التفاصيل ٠ ينظر :

Evliya Tschelebis, T ravels in Palestine , T r .st.h.Stephan , quarterly of the department of antiquities in Palestine,(London ,1939) ,vol .vIII,pp.145-156,vol .Ix,pp.81-104 ؛

اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم ، ق٢، (القاهرة ، ١٩٦٥) ، ص ص ٦٣٨ –٦٤٥ ٠

(٢٣) عارف باشا العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ط١، (القدس ، ١٩٦١) ، ص ٢٦٧ ؛ مصطفى مراد الدباغ ، بلاد فلسطين ، ط١ ،ج١٠ ، (بيروت ، ١٩٧٦) ، ق ٢ ، ص ٥٣ ؛ عبلة المهتدي الزبدة ، القدس تاريخ وحضارة ٣٠٠٠ ق٠م –١٩١٧ م ، ط١ (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ص ٣٣٧ ٠

(٢٤) Tschelebis, Op . Cit , vol.vIII, p. 156 ؛

العسلي ، القدس في التاريخ ، ص ٢٤٦ ٠

(٢٥) Ibid, , vol.vIII,pp. 149-150 ;F.E.peters ,Jerusalem Holy City in the eyes of chroniclers , Visitors , Pilgrims and Prophets from the days of Abraham to the beginning of modern times ,(London ,1985) ,p.492 ؛

كارين ارمسترونغ ، القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث ، ترجمة : فاطمة نصر ومحمد عناني ، ط١ ، (القاهرة ، ١٩٩٨) ، ص ٥٣٩ ٠

(٢٦) Tschelebis,op.cit ,vol.vlll,p.150; peters,op.cit,p.488؛

الزبدة ،المصدر السابق ، ص٣٣٩؛العسلي ،القدس في التاريخ ، ص ٢٤٨ ٠

(٢٧) Tschelebis Op . Cit , vol.vIII,pp. 151-155 ؛

العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ص ٢٢٧ –٢٢٩ ٠

(٢٨) للمزيد من التفاصيل ٠ينظر :

Ibid, vol.ix,pp.81-104 ;peters, Op . Cit,p.527 ؛

ارمستر ونغ ، المصدر السابق ، ص ٥٣٨ ٠

(٢٩) الاقجة : تعني البيضاء الصغيرة ، وهي وحدة النقد العثماني المضروبة من الفضة ،وتذكرها المصادر الاوربية عادة بالأسبر ، وكانت تعادل نصف درهم ٠ينظر : فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلامية في النظام المتري ، ترجمة :كامل العسلي ، (عمان ،١٩٧٠)، ص ص ٤٤–٤٥ ؛ خليل ساحلي أوغلو ،"النقود في البلاد العربية في العهد العثماني " ، مجلة كلية الأداب ، الجامعة الاردنية ،م (٢) ، ١٩٧١ ، ص ص ١٠٦ –١٠٨ ٠

(٣٠) Tschelebis, Op . Cit , vol.Ix,pp. 82-100 ؛

العسلي ،بيت المقدس ٠٠٠، ص ٢٥٠ ٠

(٣١) للتفاصيل ينظر : العارف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٨ –٢٦٩ ؛ الزبدة المصدر السابق ، ص ٣٣٨ ؛كامل جميل العسلي ، " القدس تحت حكم العثمانيين " ،مجلة القدس الشريف ، ع (٥٦– ٥٨) ، السنة (٤) ، (عمان ، ١٩٨٧) ، ص ٥١ ؛ عارف باشا العارف ، تاريخ ا لقدس ، (القاهرة، ١٩٥١) ، ص ١٠٦ ٠

(٣٢) المحبي ، خلاصة الأثر ٠٠٠، ج٣ ، ص ٣٠ ؛ محمد خليل المرادي ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، م٢، ج٣ ، (بغداد ، د٠ت) ، ص ص ٣٠–٣٤ ؛ إسماعيل با شا البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين واثأر المصنفين ، ط٣، م١ ، (طهران ، ١٩٦٧) ، ص ص ٥٩٠– ٥٩٤ ؛ يوسف آليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، (القاهرة ، ١٩٢٨) ، ص ص ١٨٣٢ – ١٨٣٣ ٠

(٣٣) إحسان النمر ، المختار من كتاب الحضرة الإنسية في الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي ، (نابلس ، ١٩٧٣)، ص ٣٣ ؛ احمد سامح ألخالدي ، رحلات في ديار الشام ، ط١ ، (يافا ، ١٩٤٦) ، ص ٢٤ ؛كراتشكوفسكي ، المصدر السابق ،ق٢ ، ص ص ٧٥٧–٧٥٩ ٠

(٣٤) للمزيد من التفاصيل ٠ينظر : أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد مجير الدين العليمي الحنبلي ، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، ط٢ ، ج٢ ، (النجف ، ١٩٦٨) ، ص ص ٥٦-٥٧ ؛النمر ،المصدر السابق ، ص٣٦ ؛محمد هاشم موسى داود غوشة ، بوابات القدس ، ط١ ، (عمان ، ١٩٩٢) ، ص ص ١٣، ١٩-١٤٧ ؛ لي سترانج ، فلسطين في العهد الإسلامي ، ترجمة : محمود عمايرة ، ط١،(عمان ، ١٩٧٠) ، ص ص ١٨٧ – ١٩٠ ٠

(٣٥) الخالدي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧-٣١ ؛ مروان بحيري ، " مدينة القدس من خلال أدب الرحلات والفنون الجميلة " ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، ع (٢) ، السنة (١) ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص ٢٥ ؛ الدباغ ، المصدر السابق ، ج١٠، ق٢ ، ص ص ٥٩-٦٠ ؛

. Auld and Hillenbrand ,Op .Cit. vol .p.527

(٣٦) العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ص ١٠٣ ، ٢٦١ -٢٦٢ ٠

(٣٧) النمر ،المصدر السابق ، ص ص ٤٢-٤٣ ؛ احسان النمر ، تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، ط٢، ج١، (نابلس ، ١٩٧٥) ، ص ص ١٠٨ -١٠٩ ٠

(٣٨) تكية خاصكي سلطان : هي العمارة العامرة التي أنشأتها روكسلانه الروسية الاصل (خرم) زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م ، ووقفت عليها عقارات وأراض ومزارع كثيرة ، وهي من اهم المنشآت التي أقامها العثمانيون ، تقع شرقي دار الأيتام الأسلامية ، عند عقبة التكية ،لها أوقاف في كل من أستانبول وأدرنه ومكة وغزة ونابلس وطرابلس الشام ، وكانت تقدم الطعام للفقراء الصوفية والدراويش والصلحاء ، فيها رباط وخان واسع ، وقد أضاف السلطان سليمان القانوني أربع قرى ومزارع للوقفية بعد وفاة زوجته خرم سنة ٩٦٧هـ / ١٥٥٩ م ٠ينظر : س ٣١،ج٢ ، ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م ،ص ١١٠ ؛ س ٢٧٠ ،عدة حجج، ١٢٠٣هـ /١٧٨٨م،ص ص ١٨-٢٧ ؛كامل جميل العسلي ، وثائق مقدسية تاريخية ، ط١ ، م١، (عمان ، ١٩٨٣) ، ص ص ١٢٥-١٥٠ ، م٣ ، (عمان ، ١٩٨٩) ، ص ص ٩٦ -٩٩ ؛ محمد عيسى صالحية ، سجل أرضي لواء القدس حسب الدفتر ٣٤٢ ، تاريخه ٩٧٠هـ / ١٥٦٢م المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء بأستانبول (عمان ، ٢٠٠٢) ص ص ٧٥-٧٨ ٠

(٣٩) السباهية :كلمة فارسية مفردها سباه أي الجيش ، ويستعمل أسماً للدلالة على أفراد الجيش ، وفي المفهوم العثماني هم الفرسان العسكريون الذين يمنحون مقاطعات زراعية يعيشون على أيراداتها مقابل تقديم الجند أثناء الحرب ٠ ينظر : سامي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٧٠٧ ؛ هيك ، (مادة السباهية) ، دائرة المعارف الأسلامية ، ترجمة : احمد الشنتناوي واخرون ، م١١ ، (طهران ، ١٩٣٣) ، ص ص ٢١٤ -٢١٥ ؛ عبد الكريم محمود غرايبة ، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠ -١٨٧٦ م، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ص ٤٤-٤٥ ٠

(٤٠) الخالدي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠-٣٥ ؛ الدباغ ، المصدر السابق ، ج١٠، ق٢، ص ٦٠ ؛ النمر ، المختار من ٠٠٠، ص ص ٤٥- ٥١ ٠

(٤١) العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ص ١٠٤ -١٠٥ ؛ النمر ، المختار من ٠٠٠، ص ٥٣ ٠

(٤٢) النمر ، المختار من ٠٠٠، ص ٦٠ ؛ العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ص ٢٦٦-٢٧٤ ٠

(٤٣) الخالدي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٦-٤٥ ؛ النمر ، المختار من ٠٠٠، ص ٥٤-٦٣ ٠

(٤٤) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي ، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز ، (القاهرة ، ١٩٨٦) ، ص ص ١١٠ -١٣٨ ٠

(٤٥) النابلسي ، المصدر السابق ، ص ص ١١٠ -١١٩ ؛ النمر ، تاريخ جبل ٠٠٠، ج١ ، ص ص ١٠٨-١٠٩ ٠

(٤٦) العسلي ، بيت المقدس ٠٠٠، ص ص ٢٨٢ -٢٨٨ ؛ النابلسي ،المصدر السابق ، ص ص ١٢٠ -١٣٨ ؛ الحمود ، المصدر السابق ، ص ٧٨ ٠

(٤٧) Henry Maundrell,Ajourney From Aleppo to Jerusalem in 1696 ,with anew introduction by David howell , (Beirut ,1973) ,pp.24-100؛
العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ص ص ٢٦٩–٢٧٠ ٠

(٤٨) للتفاصيل عن هذا الباب ينظر : غوشة، المصدر السابق ، ص ٤٩ ؛ سترانج ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ ؛ عبد الحميد احمد زايد ، القدس الخالدة ، ط١ ، (القاهرة ، ١٩٧٤) ، ص ٢٣٩ ؛ عمر صالح البرغوثي وخليل طوطح ، تاريخ فلسطين ، ط١، (القدس ، ١٩٢٣) ، ص٢٣٢ ؛ Tschelebis, Op .Cit , vol.vIII,p. 152

(٤٩) Maundrell , Op .Cit , p.61 ؛
عارف باشا العارف، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس ، ط١ ، (القدس ، ١٩٥٥) ، ص ٢٢٤ ؛ الزبدة ، المصدر السابق ، ص ٣٣٨ ؛ الصباغ ، الجاليات الأوربية ٠٠٠، ج٢ ، ص ص٧١٨ ، ٧٩٧ ٠

(٥٠) محمود العابدي ، أجانب في ديارنا ، ط١، (عمان ، ١٩٧٤) ، ص ٥٨ ؛ الدباغ ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ق٢ ، ص٦٣؛ Maundrell , op .Cit ، pp.89-90

(٥١)الأنكشارية : كلمة تركية اصلها (يني جري) ومعناها العسكر الجديد ، تطلق على فرق المشاة النظامية التي كونتها الدولة العثمانية في القرن الرابع عشر الميلادي ، وكان لها نفوذ كبير في الدولة ٠للتفاصيل عن نظام الانكشارية ٠ينظر : هاملتون جب وهارولد باوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة: أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ج١ ، (القاهرة ،١٩٧١) ، ص ص ٨٢ – ٩٦ ؛ أكمل الدين أحسان أوغلي واخرون ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ترجمة : صالح سعداوي ،ط ١، م١ ، (أستانبول ، ١٩٩٩) ، ص ٢٤٥ ٠

(٥٢(Peri,Op.Cit,p.78; Maundrell , Op .Cit , pp.90-116 ؛
جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ط١، (بغداد، ١٩٧١) ، قسم القدس ، ق٢، ص ص ١٥٥–١٦٠ ٠

(٥٣) Maundrell , op .cit , pp.116-121 ؛
العابديِ ، المصدر السابق ، ص ص ٦٢ –٦٣

(٥٤) س١٨٣، ح٢، ١٠٩١ هـ / ١٦٨٠م ، ص ٥٤ ؛ Ibid، pp.105,146-147

(٥٥) العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، ص ص ٢٦٩–٢٧٠ ؛ العارف ، تاريخ قبة ٠٠٠، ص ٢٢٥ ٠

(٥٦) العياشي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ٣١٨ –٣١٩ ٠

(٥٧) المدني ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٢ ٠

(٥٨) Tschelebis, Op . Cit , vol.vIII,pp. 150 .

Abstract

In general, the book journey is considered as an accurate identification and daily observations. But this genre that seemed to appear in Europe in the sixteenth century, and bone proliferation starting from the second half of the seventeenth century, could be considered a kind of field literature , i.e. literature of Journeys .

One Often can observe a variety and differences between the testimonies of travelers that reach the point of contradiction. Whereas discrepancy is due to the divergence of a

concern when the traveler, or the difference is attributable to the what each traveler record to exceed that is often the impressions passing. Moreover, the development taking place in a half century however slow it was to highlight the differences in the overall situation in the country, in an era without the other, then that deems all traveler measured by way of comparison, the particular model in mind for the event that he saw and imagined.

Al-Quds was the dearest place to the hearts of many Arab travelers and foreigners, those travelers have us who visited al-Quds as a clear vision to all corners and parts of the city and the minute detail of the fence of the city, and gates, mosques, schools and churches, markets and baths and the castle of Al-Quds, and other architectural details of the city and the pattern of daily life of the people of Jerusalem, and gave a vivid description of the meetings of cafes .Also, they conveyed to us the relationship of the farmer with the state, particularly with respect to taxes or their fare of permanent Bedouin raids and attacks, as well as what he called the lack of security on the roads leading to al-Quds and transportation to places that and the Ottoman forces move to.

But with this, the certificates of these travelers will not be taken always on their outer shape, and will oppose certification documents of the records Ottoman court, legal and historical sources available to be necessary to compare and demonstrate the accuracy of the information provided by these travelers in their journeys and support of these sources and take advantage of .

Findings, presented some images from pictures, painted in the second half of the seventeenth century, the thought of Arab travelers and foreigners, has drawn the owners of reality, Valvars Darfu came to Al-Quds, which still has all the spirit of Crusader hate, in spite of all his efforts that shown by the European objective thought of the seventeenth century, and therefore it is a wanders in its territory, groping in the past in all its aspects with sanctity, and his vision has raised of green fields, and holy places, and events her different family, and even a living in their midst a lover and a friend, a profound sorrow at the same in himself, expressed in a massive curse the Turks the rulers in Al-Quds .

Ayashi , Moroccan origin, stated that it was not easy to believe of all the folk tales he heard, but in fact he rejects the most , and he that he tended not to believe the trueness of the grave alleged of the Prophet Moses (peace be upon him) near the Al-Quds. It is clear that Alalachi did not believe most of these accounts, that is why he used many times the words (said) or (alleged) …etc. In an interview with Abu Salem on certain sites sepulcher of David and Jesus, peace be upon him, for example shows us that a struggle for ownership of these sites existed in his time between Muslims and other religions .

It is natural that Olia Chalabi, the Ottoman Savior close of Ottoman Sultan , praise Ottoman sultans' savings in Al-Quds in more than one place of his trip, which made us feel a little pride for belonging to the Ottoman state and its sultans , and may not be out of our minds after all, the Olia Chalabi, who relied on the view personal in his book, was a significant geographical and traveler of the greatest travelers in the East, and his book Siahtanamah is a source in the first-class of importance . it is in this book that I concluded a series of coordinates of Traveling people of the East. We emphasized the

importance of rich material by Chalabi, a preliminary for Jerusalem, and on what can be deduced from the valuable rare including information.

It goes without saying that the attention of Sheikh Abdel-Ghani al-Nabulsi as a cleric, Shaykh of the Sufi shaykhs had interest in the first place to visit holy places and the many scenes in the city, describing it and meeting with scientists and nobles of the city . He gave us a historical material about Al-Quds in the period during which he visited the city At the end of the seventeenth century , which shows careful and clear to accept the stories that he was told, and relate to the different images of Al Aqsa Mosque, and that did not believe many of them . In fact, the trip of Al-Nabulsi, may be regarded as the best guide for visits and the situation of the city in the Ottoman period as a whole , Perhaps the guide to more detailed than others .

Undoubtedly, all on a journey Mondrell about Al-Quds Al-Sharif is to visit the Christian Holy Places and put that day, yet, it provided us with important information on the status of Al-Quds, administrative situation, and the the way the Ottoman authorities treated local visitors to the city and provided services and protection to them. This is Al-Quds Al-Sharif as its visitors saw it, proud, full of eternal heritage through the ages.